لانه مصدر بمعنى التسحر او البركة كونه يقوي على الصوم وينشطه له
ويخففه مشقته فيناسب الفتح لانه ما يتسحر به وقيل البركة ما تضمنه
من الاستيقاظ والدعا في السحر والاولى انها تحصل بجهات
متعددة اتباع السنة ومخالفة اهل الكتاب والتقوي على العبادة
والريا والزيادة في النشاط والتسبب بالصدقة على من يسال اذ ذاك
او يجتمع معه على الاكل والتسبب للذكر والدعا ومظنة الاجابة وتدارك نية
الصوم لمن اغفلها قبل ان ينام ووقع لبعض المتصوفة ان حكمة الصوم
كسر شهوة البطن والفرج والسحور قد يباين ذلك قال ابن دقيق
العيد والصواب ان ما زاد قدر بحيث يتعدم هذه الحكمة بالكلية لا يستحب
كما تتق المترفين من الماكل وكثرة الاستعداد لها وما عداه يختلف مراتبه
انتهى وقيل المراد بالبركة نفي التبعة روى البزار والطبراني عن ابن
عباس مرفوعا ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شا الله اذا
كان حلالا الصايم والمتسحر والمرابط في سبيل الله وذكره في الفردوس
بلفظ ثلاثة لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما
اكل مع الاخوان وقيل يبارك في قليله بحيث يعين على الصوم فروى
ابن عدي تسحروا ولو بشربة من ما وللطبراني ولو بتمرة ولو بحبات
من زبيب هذا والخصوصيات للامة على الامم لا على الانبيا لقوله
صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبيا امرنا ان نعجل افطارنا ونوخر
سحورنا ونضع ايماننا على شمايلنا في الصلاة رواه الطيالسي
والطبراني باسناد صحيح واباحة الاكل والشرب والجماع للصايم
ليلا ولو نام الى الفجر كما قال تعالى احل لكم ليلة الصيام الاية
وكان محرما على من قبلنا بعد النوم وكذا كان محرما علينا في صدر
الاسلام ثم نسخ روى البخاري عن البرا كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر الافطار فنام
قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس ابن صرمة
الانصاري كان صايما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال هل عندك
طعام فقالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه
وجاءت امراته فلما راته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة
الصيام الرفث الى نسايكم ففرحوا بها فرحا شديدا وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولفظ احمد
وابن جرير عن كعب بن مالك قال كان الناس في رمضان اذا صام
الرجل فامسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنسا حتى يفطر
من الغد فرجع عمر من عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمر عنده
فاراد امراته فقالت اني قد نمت قال ما نمت ووقع عليها وصنع كعب

ابن

٨٥

ابن مالك مثل ذلك فغدا عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فنزلت الاية وروى البخاري عن البرا لما نزل صوم شهر
رمضان كانوا لا يقربون النسا رمضان كله وكان رجال يخونون
انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم
وعفا عنكم وروى البخاري عن سهل بن سعد قال نزلت وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم
ينزل من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله
الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبين
له رويتهما فانزل الله بعد من الفجر فعلموا انما يعني الليل والنهار
ومنها ليلة القدر لخبر الديلمي عن انس مرفوعا ان الله وهب
لامتي ليلة القدر ولم يعطها من كان قبلهم كما قاله النووي في
في شرح المهذب وعبارته ليلة القدر مختصة بهذه الامة
لم تكن لمن قبلنا هذا هو الصحيح المشهور الذي قطع به اصحابنا
كلهم وجمهور العلما قال الحافظ وجزم به ابن حبيب من المالكية
وسبقهم الحكيم الترمذي بجزمه بذلك وهل صيام رمضان
من خصايص الامة كما ذهب اليه الجمهور منهم معاذ وابن مسعود
وجماعة من الصحابة والتابعين والحجة لهم قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله افترض صوم رمضان وسننت لكم قيامه رواه النسايي
والبيهقي باسناد حسن عن عبد الرحمن بن عوف فهو لنا من الخصايص
ام لا كما ذهب اليه جمع منهم الحسن والشعبي ان قلنا ان التشبيه
الذي دلت عليه لفظه كما في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم على حقيقته اي تشبيها تاما فيكون رمضان
كتب على من قبلنا من جميع الامم وعن السدي هم النصارى كتب عليهم
رمضان وذكر اي روى ابن ابي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان
كتبه الله على الامم قبلكم فهذا يويد تمام التشبيه ويرد على السدي
تخصيصهم بالنصارى ولكن في اسناده مجهول فهو ضعيف
لكن له شاهد في الترمذي وان قلنا المراد مطلق الصيام دون
قدره ووقته وهو شهر رمضان فيكون التشبيه واقعا على مطلق
الصوم فلا ينافي اختصاصنا برمضان وهو قول الجمهور من الصحابة
والتابعين وغيرهم قال الزمخشري وبالجملة فالصوم عبادة
اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضه عليهم ومنها ان لهم
الاسترجاع عند المصيبة لقوله صلى الله عليه وسلم اعطيت
امتي شيا لم يعطه احد من الامم ان يقولوا عند المصيبة انا لله
وانا اليه راجعون رواه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال
سعيد بن جبير فيما رواه ابن جرير والبيهقي وغيرهما عنه لقد اعطيت

Copyright King Saud University